تدبرٌ في سورة القلم

﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾، تجربة سيدنا يونس عليه السلام تجربةٌ مليئةٌ بالعِبر...، والغريبُ أنَّ فيها درساً عظيماً للجماعات الإسلامية العاملة!.

ألا ترون في هذه القصة أنَّ الله عز وجل قد عاقب الداعية وترك المدعويين!!، وذلك أنَّ سيدنا يونس عليه السلام شقَّ عليه تلكُّؤ قومه في الاستجابة، فتركهم مُغاضباً... فالتقمه الحوت وهو مليم، أي عندما أتى يونس عليه السلام بما يُلام عليه!.

عندما ينظر الداعية في زماننا لنفسه ويبحث عن راحته على حساب دعوته، عندما يستميت للبحث عن أنانيته، عندما تتفرغ الجماعات للفروع وتترك عظائم الأمور، عندما ننشغل بالأشخاص وننسى المبادئ، عندما ننشغل بالخلافات ونترك أولويات الخطاب الدعوي من تحقيق العبودية وواجب النصرة للأقصى والأسرى والمستضعفين ومتطلبات الصراع في هذه المرحلة... فقد يعاقب الله الجماعات (الدُعاة) ويترك المدعويين!.

تصوَّر أنَّ هذه الدروس نزلت على النبي ﷺ وأصحابه في اللحظات الأولى من التأسيس في المرحلة المكية، لأنَّ سورة القلم من أول السور نزولاً، ولعلها رابع سورةٍ نزلت!!، النبيُّ لا زال يُكوِّن الفريق المؤسِّس.. فتنزل هذه الوصايا للجماعة المسلمة، ولا تكن كصاحب الحوت!!.

والرسالة إلينا في هذا: كلما انشغلتَ بالأشخاص وتركتَ المبادئ، كلما انشغلتَ بالفروع وتركتَ الأصول وواجب الوقت، فاعلم أنك قد جانبتَ الصواب!.